تفسير سورة
التوحيد

زمزم منصور القطان

الكويت
٢٠٢٠
١٤٤١

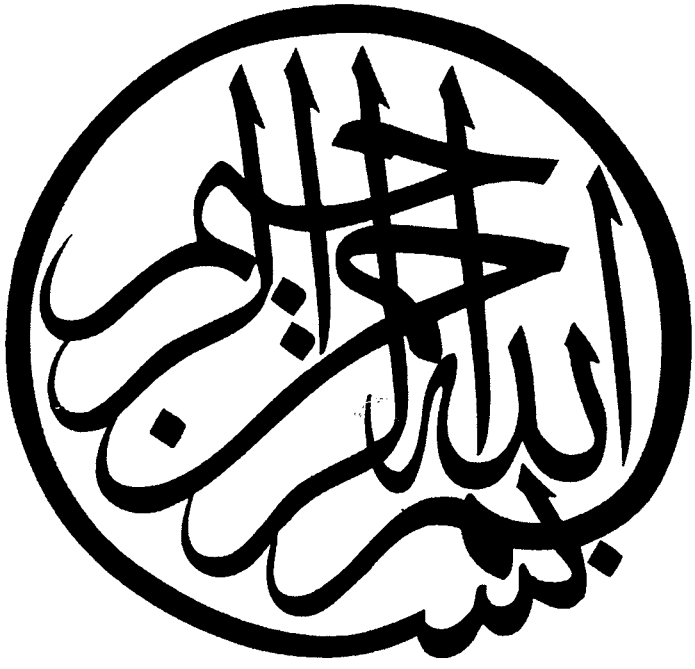
بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة

التوحيد

زمزم منصور القطان

موقع الأوحد
Awhad.com
١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

١- قال رسول الله ﷺ: «أسست السموات السبع والأرضون السبع على: ﴿قل هو الله أحد﴾»[١].

٢- عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: «صلاة الأوابين كلها بـ: ﴿قل هو الله أحد﴾»[٢].

٣- أ- عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «من مضى به يوم واحد فصلى فيه خمس صلوات ولم يقرأ بـ ﴿قل هو الله أحد﴾ قيل له: يا عبدالله لست من المصلين»[٣].

ب- وعنه عليه السلام: «من مضت له جمعة ولم يقرأ فيها بـ﴿قل هو الله أحد﴾ ثم مات مات على دين أبي لهب».

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي: ٣٢/ ١٧٦.

(٢) الكافي: ج٣، ص٣١٤.

(٣) ثواب الأعمال: ١٥٧/ ح١.

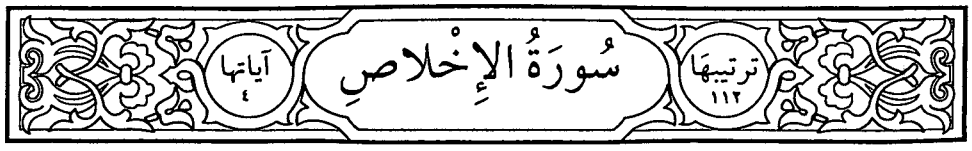

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ
الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ
يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ
كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظِيمْ

سورة الإخلاص

اختلف علماء التفسير في مكان نزول هذه السورة المباركة، هل هو في مكة المكرمة أم في المدينة المنورة، فمنهم من قال أنها نزلت في مكة والبعض قال نزلت في المدينة المنورة، وهناك بعض من يعتقد أن هذه السورة كسورة الفاتحة نزلت مرتين: مرة في مكة المكرمة، ومرة في المدينة المنورة، وعلى أي حال فإنها ترتبط بقضايا العقيدة.

كما هو واضح من اسمها تركز على توحيد الله، في أربع آيات قصار بشكل جامعٍ لا يحتاج إلى أية إضافة، حيث أن ثلث موضوعات القرآن تقريباً تدور حول التوحيد، وجاءت عصارتها في هذه السورة.

وقد تكاثرت الأخبار في فضل السورة حتى ورد إنها تعدل ثلث القرآن.

- كما أن سورة التوحيد والإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام واحد، صحيح التوحيد هو الله تبارك وتعالى لكن من حقق التوحيد؟ ومن الذي نقل التوحيد لنا؟ ومن الذي علمنا التوحيد؟

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**أول الدين معرفته وتمام معرفته نفي التشبيه عنه**» لاحظ في كتاب نهج البلاغة أكثر الخطب تدور حول علم التوحيد، ولم نعرف التوحيد بمعانيه إلاّ عن طريق أمير المؤمنين عليه السلام، لذلك من يريد أن يتعرف على التوحيد من غير طريق أمير المؤمنين علي عليه السلام فقد هوى.

• **سبب التسمية:**

أما سبب تسميتها بسورة **الإخلاص** أو سورة **التوحيد**:

١- سبب تسميتها بسورة **الإخلاص**: لأنها لا تحوي إلا اسم الله وتوحيده وأوصافه، فهي خالصة وصافية من كل شيء إلاّ من الله وصفاته وصفات جماله وجلاله.

وكما إنها جمعت بين توحيد الذات وتوحيد الصفات بوجه أكمل وأتم، وصرّحت بأن الله عز وجل ليس له شريك ولا شبيه، وهو لا يحتاج إلى أيّ من مخلوقاته، والكل يحتاج إليه، لذا سميت سورة الإخلاص.

٢- أما سبب تسميتها كذلك بسورة **التوحيد**: لأنها تحوي على المفهوم الواقعي للتوحيد بشكل جامع وقاطع، وليس هناك أي سورة أو آية تجسّم معنى التوحيد بهذه الدرجة مثل هذه السورة.

• **هل هناك أسماء أخرى لهذه السورة؟**

نعم، هناك ستة عشر إسماً غير الأسماء التي ذكرت سابقاً (التوحيد، الإخلاص) وأهم هذه الأسماء هي:

٣- سورة الولاية:

وسبب تسميتها بهذا الاسم لأن التوحيد يرتبط بالولاية ارتباطاً أصيلاً، وخالداً، ويمكن القول أن ارتباط التوحيد بالولاية هو ارتباط اللازم والملزوم، فكل قلب يكون التوحيد فيه كاملاً فلا بد من وجود الولاية فيه، وكل قلب خلا من الولاية كان ذلك دليلاً

على أن صاحب هذا القلب ليس من الموحدين العارفين بالله عز وجل.

فالتوحيد الصحيح المقبول عند الله عز وجل عندما تكون عبادتنا وطاعتنا توأماً مع ولاية المعصومين عليهم السلام والسّير على طريقهم حتى تكون تقرّباً إلى الله عز وجل، لذلك قرن الله بين توحيده والولاية في كل مكان وفي العوالم كافة، فقطبه ومركزه هو رسول الله صلى الله عليه وآله، ومظهره وحامله هم أهل بيت النبوة عليهم السلام.

أما إذا كانت العبادات والطاعات عارية عن حقيقة التوحيد تكون ملوثة بالأغراض الشيطانية وموجبة للفتن والاضطرابات الخطيرة كما حصل في معركة صفين عندما رفع جيش معاوية القرآن على الرماح الذي يمثل الكتاب الصامت وتركوا الكتاب الناطق وهو أمير المؤمنين عليه السلام في حين أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال مراراً: «**عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ**» بذلك استطاع معاوية أن يتغلب على جيش أمير المؤمنين عليه السلام.

٤- سورة الأساس:

ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: أسست السموات السبع والأرضون السبع على: ﴿قل هو الله أحد﴾، إن هذا العالم الواسع بكل ما فيه من الموجودات كافة من سماوات وأرضين وكواكب وشموس وغيرها من الآيات الآفاقية والآيات الأنفسية كجسم الإنسان ودقة خلقته نستدل بلزوم وجود إله حكيم قادر غني بالذات، الواحد الأحد، ولا يعقل أن يكون هناك صانع غيره.

٥- سورة المعوذات:

من أراد أن يعوّذ نفسه عليه أن يضع يده على صدره ويقرأ سورة التوحيد وسورة المعوذتين كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله.

وهناك أسماء أخرى منها للسورة المباركة مثل:

٦- سورة المحضر. ٧- سورة المنفرة.

٨- سورة النور. ٩- سورة المعرفة.

١٠- سورة نسبة الله. ١١- سورة البراءة.

١٢- سورة الجمال. ١٣- سورة المانعة.

١٥- سورة المقشقشة. ١٦- سورة الصمد.

١٧- سورة التجريد. ١٨- سورة النجاة.

جميع هذه الأسماء المباركة ترجع إلى أمر واحد وتفسيرها جميعاً هو إثبات معنى التوحيد والولاية.

- **ما هو سبب نزول هذه الآية المباركة؟**

في نزول السورة روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: إنسب لنا ربك فلبث ثلاثاً لا يجيبهم، ثم نزلت ﴿قل هو الله أحد﴾ قيل: إن السائل عبدالله بن صوريا اليهودي، وقيل: إنه عبدالله بن سلام سأله صلى الله عليه وآله ذلك بمكة ثم آمن وكتم إيمانه.

وقيل: إن مشركي مكة سألوه ذلك، وقيل إن نصارى نجران هم الذين سألوا النبي صلى الله عليه وآله ذلك.

لا تضاد بين هذه الروايات، إذ قد يكون هؤلاء جميعاً سألوا الرسول نفس هذا السؤال، فكان الجواب لهم جميعاً، وهو دليل آخر على عظمة هذه السورة.

- **فضيلة سورة الإخلاص:**

في فضيلة تلاوتها وردت نصوص كثيرة تدل على مكانة هذه السورة بين سور القرآن من ذلك:

١- غفران الذنوب عند الموت:

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال (ما مضمونه): «**من أراد أن يخلص من ذنوبه عند الموت ويكون كالذهب المصفّى ولم يكن للناس عليه حق، يقرأ بعد كل صلاة ﴿قل هو الله أحد﴾ اثنتي عشرة مرة، ثم يبسط يديه ويرفعهما إلى السماء ويقرأ الدعاء**»[1].

٢- حضور الملائكة عند التشييع والدفن:

وخير مثال سعد بن معاذ عندما صلى عليه النبي صلى الله عليه وآله سأل جبرائيل: لقد وافى من الملائكة سبعون ألفاً وفيهم جبرائيل عليه السلام يصلون عليه، بم يستحقّ صلاتكم عليه؟

---

(١) «اللهم إني أسألك باسمك المكنون المخزون الطهر الطاهر المبارك، وأسألك باسمك العظيم، وسلطانك القديم أن تصلي على محمد وآل محمد، يا واهب العطايا، يا مطلق الأسارى، يا فكّاك الرّقاب من النار، أسألك أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تعتق رقبتي من النار وتُخرجني من الدنيا آمناً، وتُدخلني الجنة سالماً، وأن تجعل دعائي أوّله فلاحاً وأوسطه نجاحاً وآخره صلاحاً، إنك أنت علاّم الغيوب».

قال صلى الله عليه وآله: «بقراءته ﴿قل هو الله أحد﴾ كان في جميع الأحوال ذاكراً الله عز وجل بقراءته لسورة «التوحيد» المباركة ومداومته عليها».

٣- الأمان من عذاب القبر:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره، وأمن من فتنة القبر، وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفّها حتى تجيزه الصراط إلى الجنة».

٤- النجاة من الفقر:

روى عن سهل بن سعد الساعدي وهو من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام أنه قال: «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فشكا إليه الفقر وضيق المعاش، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا دخلت بيتك فسلّم إن كان فيه أحد، وإن لم يكن فيه أحد فسلّم واقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ مرة واحدة، ففعل الرجل فأفاض الله عليه رزقاً حتى أفاض على جيرانه»[1].

٥- الأمن من الحاكم الجبار:

قال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «من قدّم ﴿قال هو الله أحد﴾ بينه وبين كلّ جبار منعه الله منه، يقرؤها بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فإذا فعل ذلك رزقه الله خيره ومنعه شره»[2].

---

(١) مجمع البيان: ١٠/ ٨٥٤.

(٢) نفس المصدر السابق: ١٠/ ٨٥٥.

٦- المساواة مع ختم القرآن:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ مرة فكأنما قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها مرتين فكأنما قرأ ثلثي القرآن، ومن قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن كله**»[١].

٧- الإنتساب إلى الربّ جلّ وعلا:

ورد في التفاسير أن جبرائيل نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: «**العليّ الأعلى يقرؤك السلام ويقول: «لكل شيءٍ نسباً ونسبتي ﴿قل هو الله أحد﴾**»»[٢].

ورسول الله صلى الله عليه وآله عندما قال لعليّ عليه السلام: «**يا علي ما مَثَلُكَ في الناس إلا كمثل ﴿قل هو الله أحد﴾ في القرآن**»[٣] أي كما أن سورة ﴿قل هو الله أحد﴾ مبيِّنة لتوحيد الله من أولها إلى آخرها، كذلك وجودك يا علي من أول حياتك إلى آخرها هو تجلٍّ للتوحيد وبقاء له.

كانت أول حياته وُلد عليه السلام في بيت التوحيد (الكعبة) وفتح عينيه على وجه التوحيد (رسول الله صلى الله عليه وآله) وفي آخر حياته استشهد في بيت التوحيد (مسجد الكوفة) لبقاء التوحيد.

٨- الغفران للأموات:

روى عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

---

(١) بحار الأنوار: ٨٩/ ٣٥٠، ح١٨.

(٢) من كتاب تفسير الثقلين: ج١، ص٢٧١.

(٣) تفسير البرهان: ٤/ ٥٢٢، ح٢٤.

«من مرّ على المقابر وقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ عشر مرات ثم وهب أجره للأموات أعطي من الأجر بعدد الأموات»[1].

٩- الأمان من أخطار الأسفار:

عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «من أراد سفراً فأخذ بعضادتي منزله فقرأ إحدى عشرة مرة ﴿قل هو الله أحد﴾ كان الله له حارساً حتى يرجع»[2].

١٠- المساواة مع جميع الكتب السماوية:

عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ مرة فكأنما قرأ ثلث القرآن، وثلث التوراة، وثلث الإنجيل، وثلث الزبور»[3].

١١- تسكين ألم العين:

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «... ومن قرأها على الرّمد سكّنه الله وهدّأه بقدرة الله»[4].

١٢- الحفظ من الذنب:

روي عن مولى الموحّدين أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ بعد صلاة الفجر إحدى عشرة مرة لم يلحقه ذنب يومئذ ولو اجتهد الشيطان»[5].

---

(١) تفسير البرهان: ٤/ ٥٢٣، ح٢٦.
(٢) من كتاب تفسير الثقلين: ج١، ص٢٧٥.
(٣) تفسير البرهان: ٤/ ٥٢١، ح١٣.
(٤) تفسير البرهان: ٤/ ٥٢٣، ح٢٦، عن خواص القرآن.
(٥) تفسير روح البيان: ١٠/ ٥٤٠.

١٣- العصمة من وساوس الشيطان:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من واظب على قراءة ﴿قل هو الله أحد﴾ وآية الكرسي عشر مرات في ليل أو نهار استوجب رضوان الله الأكبر، وكان مع أنبيائه وعصم من الشيطان»[١].

١٤- الاسم الأعظم:

عن بريدة أنه قال: دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد ويدي في يده فإذا رجل يصلي يقول: «اللهم إني أسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد».

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا سُئل به أعطى وإذا دُعي به أجاب»[٢].

١٥- عن صفوان الجمّال قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «صلاة الأوابين كلها بـ: ﴿قل هو الله أحد﴾»[٣].

١٦- عن عمر بن يزيد، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ حين يخرج من منزله عشر مرات، لم يزل في حِفظ الله عز وجل وكِلاءته حتى يرجع إلى منزله»[٤].

١٧- روي أنّه من قرأ في الركعتين الأوليين من صلاة الليل في

(١) من كتاب تفسير الثقلين: ج١، ص٢٨١.
(٢) نفس المصدر السابق: ص٢٨٢.
(٣) البرهان: ج٨، ص٤٢٠.
(٤) البرهان: ج٨، ص٤٢١.

كل ركعة: الحمد مرة و﴿قل هو الله أحد﴾ ثلاثين مرة، انفتل (أي انصرف) وليس بينه وبين الله عز وجل ذنب إلاّ غفره له»[1].

١٨- عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: «**إنما مَثَلُك مثل ﴿قل هو الله أحد﴾ فإنه من قرأها مرة فكأنّما قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها مرتين فكأنّما قرأ ثلثي القرآن، ومن قرأها ثلاث مرات فكأنّما قرأ القرآن كله، وكذلك أنت، من أحبك بقلبه كان له ثلث ثواب العباد، ومن أحبك بقلبه ولسانه كان له ثلثا ثواب العباد، ومن أحبّك بقلبه ولسانه ويده كان له ثواب العِباد أجمع**»[2].

١٩- عن أبي بصير قال: قال رسول الله ﷺ يوماً لأصحابه: أيّكم يصوم الدهر؟

فقال سلمان رحمه الله: أنا يا رسول الله.

قال ﷺ: فأيّكم يختم القرآن في كل يوم؟

قال سلمان: أنا يا رسول الله.

فغضب بعض أصحابه، فقال: يا رسول الله، إنّ سلمان رجل من الفرس، يريد أن يفتخر علينا معاشر قريش، قلت: أيكم يصوم الدهر؟

فقال: أنا، وهو أكثر أيامه يأكل.

---

(١) نفس المصدر السابق: ص٤٢٢.

(٢) تفسير البرهان: ج٨، ص٤٢٣.

وقلت: أيّكم يُحيي الليل؟ قال: أنا، وهو أكثر ليله نائم.

وقلت: أيّكم يختم القرآن في كل يوم؟ فقال: أنا، وهو أكثر أيامه صامت.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: مه يا فلان، أنّى لك بمثل لقمان الحكيم، سله فإنه يُنبئك.

فقال الرجل لسلمان: يا أبا عبدالله، أليس زعمت أنك تصوم الدهر؟ فقال: نعم، فقال: رأيتك في أكثر نهارك تأكل! فقال: ليس حيث تذهب، إني أصوم الثلاثة في الشهر، كما قال الله عز وجل: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[1]، وأصل شهر شعبان بشهر رمضان ذلك صوم الدهر.

فقال: أليس زعمت أنك تُحيي الليل؟ فقال: نعم، فقال: إنك أكثر ليلك نائم! فقال: ليس حيث تذهب، ولكني سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من بات على طُهر فكأنّما أحيا الليل كله، وأنا أبيت على طُهر.

فقال: أليس زعمت أنك تختم القرأن في كل يوم؟ قال: نعم، قال: فإنك أكثر أيامك صامت! فقال: ليس حيث تذهب، ولكني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ عليه السلام: يا أبا الحسن، مثلك في أمتي مثل: ﴿قل هو الله أحد﴾ فمن قرأها مرة فقد قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها مرتين فقد قرأ ثلثي القرآن، ومن قرأها ثلاثاً

---

(١) سورة الأنعام: آية ١٦٠.

فقد ختم القرآن، فمن أحبك بلسانه فقد كمل له ثلث الإيمان، ومن أحبك بلسانه وقلبه فقد كمل له ثلثا الإيمان ومن أحبك بلسانه وقلبه ونصرك بيده فقد استكمل الإيمان، والذي بعثني بالحق يا عليّ، لو أحبّك أهل الأرض كمحبة أهل السماء لك، لما عذّب الله أحداً بالنار، وأنا أقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ في كل يوم ثلاث مرات فقام وكأنّه قد ألقم القوم حجراً[1].

٢٠- روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**من قرأ هذه السورة وأصغى لها أحبّه الله، ومن أحبّه الله نجا، وقراءتها على قبور الأموات فيها ثواب كثير، وهي حرزٌ من كل آفة**»[2].

(١) تفسير البرهان: ج٨، ص٤٢٥.
(٢) تفسير البرهان: ج٨، ص٤٢٥.

البسْملة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

البسملة جزء من كل سورة في القرآن الكريم، وفقاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام، إلاّ سورة التوبة، كما أن هناك سورة وردت فيها البسملة في موضعين وهي سورة النمل ولكنها نُقلت عن لسان سليمان حيث قال: ﴿وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[1].

- **أهميَّة البسملة:**

هذه الكلمة المقدّسة شعار مختص بالمسلمين يستفتحون بها أقوالهم وأعمالهم وتأتي في المرتبة الثانية بعد كلمة الشهادتين.

والبسملة لا ينبغي أن تنحصر في اللفظ والصورة بل لا بدّ أن تتعدّى ذلك إلى الإرتباط الواقعي بمعناها، وهذا الإرتباط يخلق الإتجاه الصحيح في النفس ويصونها من الإنحراف ويؤدّي حتماً إلى نتيجة مطلوبة مباركة، ولذلك جاء في الحديث النبوي الشريف: «**كل أمر ذي بال لم يذكر إسم الله فيه فهو أبتر**».

فمن الضروري أن يبدأ الإنسان كل عمل يعمله باسم الله تعالى وذلك لابتداء السور القرآنية بها.

وعندما سأل عبدالله بن يحيى علياً عليه السلام وقال: يا أمير المؤمنين وما تفسير بسم الله الرحمن الرحيم؟

---

(١) سورة النمل: آية ٣٠.

قال: إن العبد إذا أراد أن يقرأ أو يعمل عملاً فيقول: بسم الله الرحمن الرحيم فإنه يُبارَك له فيه[1].

- **من موارد استحباب البسملة:**

وتستحب التسمية في موارد كثيرة نشير إلى بعضها فيما يلي:

١- عند إفتتاح كل أمر عظيم أو صغير، وبعبارة موجزة: بقاء العمل وخلوده يتوقف على إرتباطه بالله، من هناك كانت الآية الأولى التي أنزلها الله على نبيّه الكريم تحمل أمراً لصاحب الرسالة أن يبدأ مهمَّته الكبرى بإسم الله: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾[2].

وقال الإمام الصادق عليه السلام -في حديث طويل-: «**ولربما ترك بعض شيعتنا -في إفتتاح أمره- بسم الله الرحمن الرحيم فيمتحنه الله عزّ وجل بمكروه لينبّهه الله على شكر الله تبارك وتعالى والثناء عليه ويمحق عنه وصمة تقصيره عند تركه قوله: بسم الله الرحمن الرحيم**»[3].

٢- عند الركوب في أيّة وسيلة نقليّة، وقد روي أنّ نوحاً عليه السلام حين ركب السفينة وفي ذلك الطوفان العجيب وكان يمخر عباب الأمواج الهادرة ويواجه ألوان الأخطار كان يطلب من أتباعه أن يردِّدوا البسملة في حركات السفينة وسكناتها ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾[4].

---

(١) البحار: ج٩٢، ص٢٤٢، باب ٢٩.
(٢) سورة العلق: آية ١.
(٣) تفسير نور الثقلين: ج١، ص٧، ح٢٠، وتجد تمام الحديث في البحار: ج٩٢، ص٢٣٢.
(٤) سورة هود: آية ٤١.

٣- عند كتابة رسالة أو كتاب، فهذا سليمان عليه السلام يبدأ رسالته إلى ملكة سبأ بالبسملة: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[1].

إنطلاقاً من هذا المبدأ تبدأ كل سور القرآن بالبسملة كي يتحقّق هدفها الأصلي المتمثّل بهداية البشرية نحو السعادة.

٤- التسمية عند ذبح الحيوان: قال تعالى ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾[2] وهذا شرط في حليَّة الذبيحة.

وقد نهى سبحانه عن الأكل ممّا لم يذكر اسم الله عليه فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾[3].

٥- عند الأكل والشرب.

٦- عند المقاربة والممارسة الجنسيَّة.

٧- عند الكلام والتحدّث والخطابة.

٨- عند الدخول في المكان المظلم.

٩- عند الخروج من الدار.

١٠- عند فتح باب الدار والمحلّ والمتجر وغيره.

---

(١) سورة النمل: آية ٣٠.
(٢) سورة الأنعام: آية ١١٨.
(٣) سورة الأنعام: آية ١٢١.

ويستحب التسبيح باسم الرب: فقد وردت آيات متعدّدة في هذا المجال، منها قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾[1].

ولكن تنفرد سورة التوبة بعدم بدئها بالبسملة لأنها تبدأ بإعلان الحرب على مشركي مكة وهذا لا ينسجم مع وصف الله بالرحمن الرحيم.

• **معنى البسملة:**

والبسملة تقتصر على صيغة (بسم الله) لأن كلمة (الله) جامعة لكل أسماء الله وصفاته، أما الأسماء الأخرى لله فتشير إلى قسم من كمالاته كالرحمة والخالقية.

عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام في قول الله عزّ وجل ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قال: «**الله هو الذي يتألّه إليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوقٍ عند انقطاع الرجاء من كل مَن هو دونه وتقطّع الأسباب من جميع ما سواه، يقول: باسم الله، أي أستعين على أموري كلها بالله الذي لا تحق العبادة إلاّ له، والمغيث إذا استغيث والمجيب إذا دُعي**»[2].

والعلاّمة الإحسائي الشيخ أحمد بن زين الدين (تغمّده الله بالرضوان) يقول:

والباء في بسم: بهاء الله [3] إشارة إلى المفعولات العقلية والسين

---

(١) سورة الواقعة: آية ٧٤.

(٢) التوحيد للصدوق باب معنى البسملة: ص٢٣٠، ح٥.

(٣) استناداً إلى ما روي في التوحيد باب معنى البسملة: ص٢٣٠، ح٢.

سناء الله، إشارة إلى المفعولات النفسية، والميم: مجد الله، إشارة إلى المفعولات الجسمانية، وهذه المراتب الثلاث ظواهر النسبة ومراكب بواطنها.

والأسماء الثلاثة التي هي مسمّيات وهي: الله، الرحمن، الرحيم، مقوّماتها وبواطنها، وذلك لأن إسم الله هو المراد من الباء والمشار بها إليه، وإسم الرحمن هو المراد من الميم والمشار إليه.

وبيانه أن نقول: الله سبحانه هو المنسوب، والأُلوهيّة نسبته والباء محلّها وصورتها، والرحمن تعالى هو المنسوب والرحمانيّة نسبته وهي: الرحمة المكتوبة فالباء صورة الأُلوهية التي هي صفة الله سبحانه وهي الجامعة:

١- لصفات القدس، كالسبحان والقدّوس والعزيز والعلي...

٢- ولصفات الإضافة كالعليم والسميع والبصير والقادر...

٣- ولصفات الخلق كالخالق والرازق والمعطي...

والسين، صورة الرحمانية التي هي صفة الرحيم (عزَّ وجل) وهي الجامعة لصفات الإضافة وصفات الخلق.

وروى الشيخ الجليل الصدوق في كتابه معاني الأخبار عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سُئل عن (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال: الباء بهاء الله، والسين سناء الله، والميم مُلك الله.

قال: قلت: الله؟

قـال: الألف آلاء الله على خَلقه من النعم بولايتنا، واللاّم إلزام الله خلقه ولايتنا.

قلت: فالهاء؟

فقال: هوانٌ لمن خالَفَ محمداً وآل محمد (صلوات الله عليهم).

قلت: الرحمن؟

قال: بجميع العالم.

قلت: الرحيم؟

قال: بالمؤمنين خاصّة[1].

إنّ قولنـا: ﴿بسـم الله﴾ في بداية كلّ عمل يعنـي (الإستعانة) بـالله ويعني أيضاً (البدء) بإسـم الله، وهذان المعنيان متلازمان أي أبـدأ بإسم الله وأستعين بذاته المقدّسـة، وإن البدء بإسم الله يبعـث فينا القـوّة والعزم والثقة والاندفاع والصمـود والأمل أمام الصعاب والمشاكل، والإخلاص والنزاهة في الحركة.

أمّـا معنى: «الرحمن الرحيم» يقـول الإمام الصادق عليه السلام في معنـى (الرحمن) إنه اسم خاص بصفـة عامة، و(الرحيم) اسم عـام لصفـة خاصة -كمـا أشـار إلى ذلك صاحـب تفسير مجمع البيان-[2].

فاسـم (الرحمـن) يختصـ بالله وحـده ويحمل صفـة رحمته

(١) معاني الأخبار باب معنى البسملة: ج١، ح٢.
(٢) ج١، ص٢١.

الواسعة الشاملة لكلّ شيء، أمّا اسم (الرحيم) فهو اسم عام قد يشترك به الآخرون ولكنه يحمل عن الله عزّ وجل صفة الرحمة الخاصة بالمؤمنين لوحدهم.

إنّ كلمة الرحمن اسم خاص بالذات الإلهيّة المقدّسة لأن الرحمن هو من يمتلك الرحمة الواسعة ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1].

فرحمة الله عزّ وجل تسع لتشمل وتغطّي كل شيء من إنسان وحيوان ونبات وجماد وملائكة وسائر الخَلق بملكها وملكوتها، وكل ما خلق الله من آثار رحمته عزّ وجل، فالنبات في حقيقته أثر من آثار رحمة الله، كما يؤكّد ذلك قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[2].

بل أن وجود أي موجود هو بفضل رحمة الله تعالى، فقد أعطاه بمقدار وجوده وبمقدار ما تستدعيه إرادته تعالى في بقاء الموجود ودوامه، وهذا الأمر لا يمكن أن يصدر عن غير الله تعالى، لذلك انحصرت الرحمة الواسعة الشاملة بالله وحده.

فلفظ «الرحمن» لا يطلق إلاّ على الله تعالى من حيث أنّ معناه لا يصحّ إلاّ له، فهو الذي وسع كلّ شيء رحمة، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[3] ولعلّه إشارة إلى سعة الرحمة لأن العرش هو الذي له إشراف كامل على ما سواه من المخلوقات، ولهذا قال

---

(١) سورة الأعراف: آية ١٥٦.
(٢) سورة الروم: آية ٥٠.
(٣) سورة طه: آية ٥.

تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾[1]، فهذه الصفة هي التي تتّسم بهذه الصيغة (الوسعة والإستيعاب) ولا تفاوت في الخلق أصلاً بل الأشياء كلها من هذا المنظار في مستوى واحد، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾[2].

فكلّ خير إنما هو من الرحمن، كما أنّ العذاب باعتباره مَظهراً لغضب الله تعالى فهو من الرحمن، أمّا الشرّ بما هو شرّ فلا علاقة له بالله، وإنما هو أمر عدمي أو قياسي، أي أن سمّ العقرب -مثلاً- شرّ فيما إذا قيس مع حياة الإنسان.

وأمّا الرحيم:

فهي صفة مشبَّهة بإسم الفاعل فتدلُّ على الثبوت، وتلازم عالَم الإستقرار والخلود، ولهذا تصاحب صفات أُخرى لها نفس الصبغة وهي «الغفور» وقد لازمتْها في خمسين مورداً وقد تقدَّمت على الغفور في مورد واحد.

كما صاحبت الرحيمية صفة (الرؤوف) في أربعة موارد من القرآن الكريم وصفة (التوّاب) في مورد واحد و(الودود) في مورد واحد أيضاً.

---

(١) سورة الفرقان: آية ٥٩.

(٢) سورة الملك: آية ٣.

إنَّ الرحمة الخاصة بالمؤمنين -والتي يعبّر عنها بالرحمة الرحيمية- هي أوسع من الرحمة الرحمانية بمراتب متعدّدة، فهي وإن كانت محدودة بأهل الإيمان إلاّ أنها من حيث الكمّ والمقدار تعدل مائة ضعف من الرحمة الرحمانية، وهذا ما يؤكّده قول النبي صلى الله عليه وآله: «**إنّ لله عزّ وجل مائة رحمة، أنزل منها واحدة إلى الأرض فقسّمها بين خَلقه، فبها يتعاطفون ويتراحمون، وأخّر تسعاً وتسعين يرحم بها عباده يوم القيامة، فرحمة الله عزّ وجل الواسعة التي عمّت الخلائق أجمعين ليست إلاّ جزءً من مائة جزء من الرحمة الإلهية التي أودعها جلّ جلاله في قلوب وأرواح المؤمنين وأوليائه الصالحين**»[1].

وهذا يعني أن الرحمة الرحيمية هي رحمة اكتسابية لا تكوينية، أي تصل إلى متناول بني البشر من خلال السعي لها وطلبها فهي تختلف عن سنخ الرحمة العامة التي صارت في متناول الجميع دون سعي لها أو طلب للحصول عليها، فبالرحمة الرحيمية التي يحصل عليها العبد ينعم بآثارها المتجسّدة بالمنازل الشامخة والمراتب المعنوية الرفيعة وينل جنهة الخلد والوصول إلى رضوان الله تعالى، وهذا لا يتحقّق إلاّ أن يرتفع الإنسان إلى منزلة الإنسانيّة التي أرادها الله له.

فعلينا جميعاً أن نبادر ونسارع في الرجوع إلى ذواتنا ونحيل النظر في شريط عمرنا لنبحث فيه عن مقادر ما كسبنا فيه من

(١) البحار: ج٩٢، ص٢٥٠ باختلاف يسير.

حصيلة التقـوى لنعرف درجة اللياقة والإستعـداد في نيلنا لرحمة الله الرحيمية الخاصة وهي الرحمة التي تنفع الإنسان في يوم يكون فيه في أشدّ الحاجة وأمسّها إلى مثل تلك الرحمة، ولكن لن ينالها أبداً إلاّ من سار في ركب أهل الإيمان وأعدّ نفسه بالتأهّل بها.

- **ارتباط البسملة بالسورة:**

يحتمـل أن تكون (البسملة) في جميـع السور القرآنية مرتبطة بالآيـات التي تليهـا، ولقد قيـل إن البسملة متعلّقـة بمعنى مقدار واحـد، ولكن الأقرب هـو أن كل بسملة مرتبطة بنفس السورة التي تفتتحهـا، فمثلاً فـي (الحمد) ترتبط البسملة بمـا بعدها، وعند الشيعـة الإماميـة يكون معنـى البسملة في كل سـورة مختلفاً عن معنـى البسملة في السـورة الأخرى وقد أوجبوا الجهـر بها فيما يجب فيه بالقراءة كصلاة الصبح والمغرب والعشاء.

والمؤمنون الحقيقيّـون يطهّرون قلوبهم بذكر البسملة في بداية كلّ عمـل من كل عُلقة وارتباط، ويرتبطـون بالله وحده ويستمدّون منه العون ويتوسّلون إليه برحمته التي وسعت كل شيء.

والبسملـة أيضاً تعلّمنا أن أفعال الله تقوم أساساً على الرحمة، والعقاب له طابع استثنائي لا ينزل إلاّ في ظروف خاصة، كما نقرأ فـي الأدعيـة المرويَّة عن آل بيـت رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يـا من سبقت رحمته غضبه**»[1].

---

(١) دعاء الجوشن الكبير.

• **عظمة بسم الله الرحمن الرحيم:**

قال ابن عبّاس: أخذ بيدي علي بن أبي طالب عليه السلام وخرجنا إلى البقيع في أول الليل وقال لي: إقرأ يابن عباس. فقرأت: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فتكلّم لي في أسرار الباء، إلى بزوغ الفجر[1].

وعنه عليه السلام قال: «**لو شئتُ لأوقرتُ سبعين بعيراً من باء ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾**».

لأنّ جميع أسرار الله سبحانه وتعالى في الكتب السماوية وجميع ما في الكتب السماوية في القرآن العظيم، وجميع ما في القرآن العظيم في الفاتحة، وجميع ما في الفاتحة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وجميع ما في ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ في باء البسملة وجميع ما في باء بسم الله في النقطة التي تحت الباء.

إن أسرار القرآن الكريم في الفاتحة وأسرار الفاتحة في البسملة وأسرار البسملة في الباء وأسرار الباء في نقطتها[2].

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**خرجت الموجودات من باء ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾**».

• **فضيلة البسملة:**

جاء في كتاب مدينة المعاجز -للسيّد هاشم البحراني- عن

---

(١) ينابيع المودّة: ج١، ص٦٨، باب ١٤.

(٢) قول الإمام علي عليه السلام: أنا النقطة التي تحت الباء.

النبـي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «مَن قرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ بنى الله له في الجنّة سبعين ألف قصر من ياقوتة حمراء، في كل قصر ألف بيت من لؤلؤة بيضاء، في كل بيت سبعون ألف سرير من زبرجدة خضراء، فوق كلّ سرير سبعون ألف فراش من سندس وإستبرق وعليه زوجة من الحور العين، ولها سبعون ألف ذؤابة مكلّلة بالدُرّ والياقوت، مكتوب على خدّا الأيمن: محمد رسول الله، وعلى خدّها الأيسر: عليٌّ ولي الله، وعلى جبينها: الحسن، وعلى ذقنها: الحسين، وعلى شفتيها ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾.

قال الراوي: قلت: يا رسول الله لمن هذه الكرامة؟

قال صلى الله عليه وآله: لمن يقول بالحُرمة والعظيم: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾»[1].

كما روي عن ابن مسعود أنه رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من قرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ كتب الله له بكلّ حرف أربعة آلاف حسنة ومحى عنه أربعة آلاف سيّئة ورفع الله له أربعة آلاف درجة»[2].

وقال صلى الله عليه وآله: «إذا مرَّ المؤمن على الصراط فيقول ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ اطفأت لهب النار وتقول: جُزْ يا مؤمن فإنّ نورك قد أطفأ لهبي»[3].

---

(١) تفسير البرهان: ج١، ص٤٣، ح٣٠.
(٢) تفسير البرهان: ج١، ص٤٣، ح٢٩.
(٣) تفسير البرهان: ج١، ص٤٣، ح٣١.

• **الجهر بالبسملة:**

إنه الجهر بالبسملة في الصلاة الجهريَّة -وهي صلاة الصبح والمغرب والعشاء- واجب، لأنّها جزء من السورة -سواء سورة الحمد أم غيرها- وكما يجب الجهر في قراءة الحمد والسورة يجب الجهر بالبسملة أيضاً.

ويستحبّ الجهر بالبسملة في صلاة الظهر والعصر وفي الصلوات المستحبّة أيضاً.

هذا هو مذهب أهل البيت عليهم السلام وقد صار شعاراً للشيعة الذين انتهجوا منهج آل رسول الله صلى الله عليه وآله واقتدَوا بهم وساروا على هديهم.

وقد رُويتْ في ذلك أحاديث متعدّدة، منها: عن الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّها من الفاتحة، وإنّ رسول الله كان يقرأها ويعدُّها منها ويقول: فاتحة الكتاب هي السبع المثاني[1].

وروى ابن أُذينة عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أحقّ ما جُهر بها، وهي الآية التي قال الله عزّ وجل:** ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا﴾»[2].

وعن زرارة عن أحدهما عليهما السلام قال: في ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قال: هو الحق فاجهر به..[3].

---

(١) تفسير القمي: ج١.
(٢) بحار الأنوار: ج٨٢، ص٨٢، الإسراء: آية ٤٦.
(٣) بحار الأنوار: ج٨٢، ص٧٤.

وعـن أبي حفص الصائغ قال: صلّيتُ خلف جعفر بن محمد بن علي عليهما السلام فجَهَر بـ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾[1].

وعن رجاء بن أبي الضحّاك أنّ الإمام الرضا عليه السلام -في طريق خراسـان- كان يجهر بـ ﴿بسم الله الرحمـن الرحيم﴾ في جميع صلواته بالليل والنهار[2].

هـذا.. وقد صار الجهر بالبسملة مـن علامات شيعة آل محمد وشعائرهم التي يُعرفون بها في الدنيا والآخرة.

فقد روي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال:

«علامات المؤمن خَمس:

١- صلاة الإحدى والخمسين. ٢- وزيارة الأربعين.

٣- والتختّم باليمين. ٤- وتعفير الجبين.

٥- والجهر بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾.

فالعلامة الأُولى هي الفرائض اليوميّة مع نوافلها المستحبَّة حيث تكون إحدى وخمسين ركعة.

والعلامـة الثانية هي زيـارة سيّد الشهـداء وريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله: الإمام الحسين عليه السلام في العشرين من شهر صفر.

والعلامـة الثالثة هي التختّـم باليمين حيث صارت من علامات الشيعة الأبرار.

---

(١) بحار الأنوار: ج٨٢، ص٧٩.

(٢) بحار الأنوار: ج٨٢، ص٧٩.

والعلامة الرابعة هي السجود على التربة في الصلاة، طاعة لله ورسوله حيث قال صلى الله عليه وآله: «**جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً**».

فترى الشيعة هم الذين يسجدون على التراب، أمّا غيرهم فيسجدون على المفروشات، ضاربين كلام رسول الله عرض الجدار[1].

وأمّا العلامة الخامسة فهي الجهر بالبسملة في الصلوات.

وفي الآخرة أيضاً يُعرف الشيعة بهذه العلامة: فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: إذا كان يوم القيامة يقبل أقوام على نجائب من نور[2] ينادون بأعلى أصواتهم: «الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوّء من الجنّة حيث نشاء».

قال عليه السلام: فتقول الخلائق: هذه زُمرة الأنبياء.

فإذا النداء من قِبَل الله عزَّ وجل: هؤلاء شيعة علي بن أبي طالب، فهم صفوتي من عبادي، وخيرتي من بريَّتي.

فتقول الخلائق: إلهنا وسيّدنا بما نالوا هذه الدرجة؟

فإذا النداء من الله: يتختّمهم في اليمين، وصلاتهم إحدى وخمسين، وإطعامهم المسكين، وتعفيرهم الجبين، وجهرهم بـ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾[3].

---

(١) لمزيد من المعلومات عن السجود على الأرض راجع كتاب: السجود على التربة والجمع بين الصلاتين.

(٢) النجائب: الإبل التي يُسابَق عليها.

(٣) بحار الأنوار: ج٨٢، ص٧٩.

• **أمّا غير الشيعة:**

أمّا غير الشيعة فإنّ أكثرهم -أو كلّهم- قد أسقطوا البسملة من القراءة بصورة عامّة في الصلوات وغيرها، وهؤلاء ارتكبوا أمراً عظيماً وإثماً مُبيناً وذنباً كبيراً، وإلى هؤلاء أشار الإمام محمد الباقر عليه السلام حيث قال: «**سَرقوا آيةً من كتاب الله**»[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: ما لَهم؟ قاتَلَهم الله!! عَمدوا إلى أعظم آية في كتاب الله فزعموا أنها بدعة إذا أظهروها»[2].

وحتّى في صلاة الجماعة ترى أن إمامهم يقرأ سورة الحمد بلا بسملة، وهذا يسبّب تمكُّن الشيطان من الإمام، كما جاء في الحديث الآتي:

قال الإمام الباقر عليه السلام لأبي حمزة الثمالي: يا ثمالي إنّ الشيدان ليأتي قرين الإمام[3] فيسأله: هل ذكر ربَّه؟

فإن قال: نعم، إكتسع فذهب[4].

وإن قال: لا، ركب على كتفيه وكان (الشيطان) إمامَ القوم حتى ينصرفوا.

قال: قلت: جُعلت فداك وما معنى قوله: ذَكر ربَّه؟

قال: الجهر بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾[5].

---

(١) تفسير القمي: ج١.
(٢) نفس المصدر السابق.
(٣) الظاهر أن «القرين» هو الشيطان الموكّل به، والإمام هو إمام الجماعة.
(٤) إكتسع الفحل: خَطر وضرب فخذيه بذنبه، ولعلّه -هنا- كناية عن الرجوع خائباً.
(٥) بحار الأنوار: ج٨٢، ص٧٤.

تفسير الآيات المباركة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾

- **﴿قل هو الله أحد﴾:**

كلمة «قل» وإن جاءت خطاباً لرسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ أنها ذات بعدٍ عمومي، كأنها خطاب لجميع مسلمي العالم، فكل مسلم عند تلاوته لهذه السورة المباركة كأنه يخاطب جميع الكائنات فيقول: «قل هو الله أحد» فهو شعار الإسلام العالمي والخالد، وفي الواقع لا يختصّ بالمسلمين بل يشمل كل ما في عالم الإمكان فالجميع يقول بلسان التكوين أو بلسان التشريع: «قل هو الله أحد»، أي إنّ جميع الموجودات تسبّح الله عز وجل، أمام وحدانيته وعظمته، كلٌّ بلغته الخاصة، قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[1].

فكلمة «قل» في بداية سورة التوحيد المباركة يجب تلفّظها ضمن السورة لسببين:

الأول: لكي يحفظ سياق الآية المباركة، ولا يغيّر، فتتلى السورة كما أنزلها الله عز وجل.

---

(١) سورة الإسراء: آية ٤٤.

الثاني: لكي يكرر هذا الشعار العالمي الخالد للإسلام الذي يشمل عالم الملك والملكوت وكل ما سوى الله عز وجل أكثر فأكثر «وحده لا إله إلا هو».

- ﴿هو﴾:

الضمير (هو) في الآية للمفرد الغائب ويحكي عن مفهوم مبهم، وهو في الواقع يرمز إلى أن ذاته المقدسة في نهاية الخفاء، ولا تنالها أفكار الإنسان المحدودة، وإن كانت آثاره أظهر من أي شيء آخر، كما ورد في قوله تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[1].

عندما سألوا الرسول صلى الله عليه وآله وقالوا: هذه آلهتنا المحسوسة المدركة بالأبصار، فأشر أنت يا محمد إلى إلهك الذي تدعو إليه حتى نراه وندركه ولا نأله فيه، فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿قل هو الله أحد﴾ فالهاء تثبيت للثابت، والواو إشارة إلى الغائب عن درك الأبصار، ولمس الحواس، وأنه تعالى عن ذلك بل هو مدرك الأبصار ومبدع الحواس[2].

واعتبر بعض علماء التفسير كلمة (هو) في أول سورة «التوحيد» المباركة ضمير شأن، وقالوا: إن ضمير الشأن يستعمل عندما يراد الإخبار بأمر مهم بعده، وخلصوا إلى أن الأمر المهم هنا هو (الله أحد) وكلمة «هو» جاءت قبله كضمير شأن، ولكن خادم الشريعة

(١) سورة فصلت: آية ٥٣.

(٢) تفسير نور الثقلين: ح٨، ص٣٦٧.

الغـراء المـيرزا عبدالرسول قدس سره قـال في كتابه «تفسـير الثقلين» المجلـد الأول ص٢٨٨ قـال: ليس هذا دليلاً على أن كلمة «هو» وهي مـن أعظم الأسماء الإلهية ضمير شأن، فتكون من الناحية الأدبية كلمة زائدة تقريباً وليس لها معنى مستقلاً.

إن كلمـة «هو» المباركة هي كلمـة مستقلة وجامعة لجميع صفات الجمال والجلال الإلهي، وكل ما هو موجود قد أودع في هذه الكلمة «هو»، وهي تشتمل على سرّ التوحيد وحقيقته.

وتأييداً لهـذا الأمر ذكر المرحوم الميرزا عبدالرسول قدس سره رواية عـن مولى الموحّدين أمـير المؤمنين علـي عليه السلام: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يكرّر في وقعة صفين في ميدان الحرب هذه الكلمات: **«يـا هـو يـا مـن لا هـو إلا هـو، اغفـر لي وانصـرني علـى القـوم الكافرين»**[1].

- **نكات لطيفة:**

ذكر خادم الشريعـة الميرزا عبدالرسول قدس سره في كتابه «تفسير الثقلين» هذه النكات وهي:

١- إن حـرف الهـاء يرسم علـى شكل دائـرة (٥) وبما أن خطّ الدائـرة هو من الخطوط غير المتناهية، فليسـ له بداية ولا نهاية كبقيـة الخطوط وذلك إشـارة إلى أن الذات الإلهية المقدسة أزلية وأبدية غير متناهية.

(١) من كتاب تفسير البرهان: ٤/ ٥٢٥، ح٩.

٢- إن عدد حرف الهاء بحساب الأبجد هو خمسة (٥) وتكتب أيضاً على شكل دائرة وهذه إشارة أيضاً إلى أن صفات الله عز وجل كذاته غير متناهية، لأن صفات الله هي عين ذاته، فلا تنفصل صفاته عن ذاته، كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: «**كمال الإخلاص له نفس الصفات عنه**»[1]. أي إن صفات الله لا يمكن أن نتصورها زائدة عن ذاته بل هي عين ذاته.

٣- إن مخرج حرف الهاء عند النطق هو الصدر، والصدر محل القلب، وهذا إشارة إلى أن الذات الإلهية المقدّسة هي كالأسرار المودعة في الصدر، سرّ خفيّ وسرّ مطلق غير قابل للدرك.

وأيضاً إشارة إلى أن الأرض والسموات لا تسعه جلّ وعلا، ولكن وَسِعَهُ قلب عبده المؤمن، ووسع ظهور أنواره، كما في هذا الحديث الشريف: «**ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن**». وهو رسول الله صلى الله عليه وآله.

٤- إن حرف الواو (و) الذي هو إشارة للغائب ورد في كلمة «هو» بعد حرف الهاء، وعدده الحساب الأبجد ستة (٦) وهي إشارة إلى المراتب الستّ للوجود وهي عبارة عن:

١- عالم الهاهوت.
٢- عالم اللاهوت.
٣- عالم الجبروت.
٤- عالم الملكوت الأعلى.
٥- عالم الملكوت الأسفل.
٦- عالم الناسوت.

---

(١) نهج البلاغة: ٧٠، الخطبة١.

وقد أشار الله عز وجل في كتابه القرآن الكريم إلى هذه العوالم الستّ فقال: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾[1]، فلعل المقصود في الآية من كلمة (الأيام) هي تلك المراتب والحدود الوجودية.

أي إن السموات والأرض خلقتا بستّ مراتب وجودية، فجميع العوالم في مراتب ستّ، كما هو الحال في الدنيا حيث لها ستّ مراتب أيضاً وهي:

١- مرتبة الجماد. ٢- مرتبة النبات.

٣- مرتبة الحيوان. ٤- مرتبة الجن.

٥- مرتبة الملائكة. ٦- مرتبة الإنسان.

أما العرش فهو عبارة عن مرتبة الحقيقة المقدّسة لمحمد وآل محمد عليهم السلام والتي تُعرف في أصطلاح حكمة أهل البيت عليهم السلام بالسلسلة الطولية.

أما من عجائب وبدائع كلمة «هو» التي ذكرها المرحوم ميرزا عبدالرسول الأحقاقي قدس سره في كتابه «تفسير الثقلين»:

١- أن عدد حروف كلمة «هو» بحساب الأبجد هو (١١)، فإذا أعطي بسطاً وترفيعاً فإنه يطابق حروف الإسم المبارك (عليّ) والذي هو (١١٠) وهو من الأسماء الحسنى، بل هو الإسم الأعظم،

---

(١) سورة يونس: آية ٣.

وعلى العكس إذا أعطي عدد حروف اسم (عليّ) بسطاً وتنزيلاً فإنه سيطابق عدد حروف (هو) وهنا نحصل على نتيجة بديعة وعجيبة جداً وهي:

«هو» في مقام الترفيع تساوي «علي»، و«عليّ» في مقام التنزيل يساوي «هو»، وهذين الإسمين ذكرها الله عز وجل في آيات كثيرة من القرآن الكريم قوله تعالى ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾[1]، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[2]، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[3].

٢- من عجائب كلمة «هو» أيضاً أن عدد هذه الكلمة (١١) لو ضرب بنفسه لأصبح (١٢١) وهذا العدد يساوي عدد حروف كلمة (يا علي).

٣- ومن بدائع كلمة «هو» أن الحرف الأول وهو (الهاء) مخرجه في علم التجويد في أقصى الحنجرة وعمق الفم، ويعتبر أول مخرج لحروف الهجاء، ولما كان أداء هذا الحرف من نهاية الحق نجد فيه حالة من الاستتار والبطون والخفاء.

وعلى العكس، فإن الحرف الثاني من كلمة «هو» وهو الواو (و) مخرجه من بين الشفتين، وهو آخر مخرج من مخارج حروف الهجاء، وبما أنه يتلفّظ من بين الشفتين فله حالة من الظهور الشهود، ومن هذا نصل إلى هذه النتيجة: «هو الأول هو الآخر -

(١) سورة لقمان: آية ٣٠.
(٢) سورة البقرة: آية ٢٥٥، وسورة الشورى: آية ٤.
(٣) سورة الشورى: آية ٥١.

هـو الظاهر هو الباطن» إشارة إلى الأسماء الأربعة من أسماء الله عز وجل.

٤- ومن عجائب هذه الكلمة «هو» أن تلفّظها لا يحتاج إلى حركة اللسان بل يكفي انقباض وانبساط النفس (زفير وشهيق) وهذا إشارة إلى أن هوية الله عز وجل بذاته، وهو قائم بنفسه، كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في دعاء الصباح: «**يا من دلّ على ذاته بذاته، وتنزّه عن مجانسة مخلوقاته، وجلّ عن ملائمة كيفياته**».

- أما تفسير لفظ الجلالة «الله»:

هو اسم مشتق، وهناك أقوال كثيرة في اشتقاقه منها:

١- إنه مشتق من مادة «أَلَهَ يَأْلَهُ» بمعنى «العبادة»، فيكون لفظ الجلالة (الله) بمعنى اسم المفعول «المألوه» وأيضاً بمعنى «معبود» لأنه معبود جميع الكائنات، وهو الذي عنت له الوجوه: قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾[1].

٢- إنه من مادة (أَلَهَ يَأْلَهُ) بمعنى «التحيّر» فيكون لفظ الجلالة (الله) بمعنى الوجود الذي تحيرت جميع العقول والأوهام بمعرفته.

وقد ورد في كتاب التوحيد: ٨٩ ح٢ حديث عن أمير المؤمنين علي عليه السلام بهذا الخصوص، قال عليه السلام: «**الله: معناه المعبود**

(١) سورة طه: آية ١١١.

الذي يأله فيه الخلق ويؤله إليه. والله: هو المستور عن درك الأبصار المحجوب عن الأوهام والخطرات».

٣- إنه من مادة «ألهت إلى فلان» أي: سكنت إليه، وعلى هذا يكون لفظ الجلالة (الله) يعني المطمئن، قوله تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[1].

وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام، في رواية طويلة في تفسير لفظ الجلالة (الله) عز وجل أنه قال: (الله): معناه المعبود الذي أله الخلق عن درك ماهيته والإحاطة به بكيفيته.

ويقول العرب: «أَلَهَ» إذا تحيّر في الشيء ولم يحط به علماً.

و«وَلَهَ» إذا فزع الشيء مما يحذره ويخافه، و«الإله» هو المستور عن حواس الخلق.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: (الله) معناه: المعبود الذي يأله فيه الخلق، ويؤله إليه، (الله): المستور عن إدراك الأبصار، المحجوب عن الأوهام والخطرات.

علماً إن المعاني اللغوية للفظ الجلالة (الله) والروايات المنقولة عن المعصومين عليهم السلام والتي تؤكد جميعاً حيرة عقول وأوهام جميع المخلوقات أمام ذات الله عز وجل، تثبت أن هذا الاسم المبارك وسائر الأسماء الحسنى لا يمكن أن تكون علماً للذات الإلهية، لأن أيّاً منها لا يكشف عن ذات الحق جل وعلا (فالطريق مسدود

(١) سورة الرعد: آية ٢٨.

والطلب مـردود) فهي إذاً أسماء صفات فعليـة لذلك الوجود جلّ وعلا، وإن كان المراد حين إطلاق هذه الأسماء المباركة هو الله عز وجل وليس غيره.

وقـد روي فـي «تفسير الإمـام الحسن العسكـري عليه السلام» وفي كتـاب «التوحيد» عن أمـير المؤمنين علي عليه السلام أن رجـلاً قام إليه فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرني عن «بسم الله» ما معناه؟

فقال: إن قولك (الله) أعظم اسم من أسماء الله عز وجل، وهو الاسم الذي لا ينبغي أن يسمّى به غير الله، ولم يتسمّ به مخلوق[1].

- أما تفسير كلمة «أحد»:

أحد وصف مأخوذ من الوحدة كالواحد غير أن الأحد إنما يطلق علـى ما لا يقبل الكثرة لا خارجاً ولا ذهنـاً ولذلك لا يقبل العد ولا يدخل فـي العدد بخلاف الواحد فإن كل واحد لـه ثانياً وثالثاً إما خارجاً وإما ذهناً بتوهم أو بفرض العقل فيصير بانضمامه كثيراً، وأما الأحد فكل ما فرض له ثانياً كان هو هو لم يزد عليه شيء.

قـال الإمام الباقر عليه السلام: «الأحد الفرد المتفرد والأحد والواحد بمعنـى واحد، وهـو المتفرد الـذي لا نظير لـه، والتوحيـد الإقرار بالوحدة وهو الانفراد، والواد المتباين الذي لا ينبعث من شيء، ولا يتحد بشيء، ومن ثمّ قالوا: إن بناء العدد من الواحد وليس الواحد من العدد، لأن العدد لا يقع على الواحد بل يقع على الاثنين، فمعنى

(١) تفسير الثقلين: ج١، ص١٥١.

قوله: (الله أحد)، أي المعبود الذي يأله الخلق عن إدراكه والإحاطة بكيفيته، فرد بالإلهية متعال عن صفات خلقه»[1].

وفي القرآن الكريم (واحد) و(أحد) تطلقان معاً على ذات الله سبحانه، ومن الرائع في هذا المجال ما جاء في كتاب التوحيد للصدوق: أن إعرابياً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، أتقول: إن الله واحد؟ فحمل الناس عليه وقالوا: يا أعرابي أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسم القلب؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: دعوه فإن الذي يريده الأعرابي هو الذي نريده من القوم، ثم قال: يا أعرابي: إن القول في أنّ الله واحد على أربعة أقسام فوجهان منها لا يجوزان على الله عز وجل، ووجهان يثبتان فيه، فأمّا اللذان لا يجوزان عليه فقول القائل واحد يقصد به باب الأعداد، فهذا ما لا يجوز لأنّ ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد، ألا ترى أنّه كفرض قال: ﴿ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾[2]، وقول القائل هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس فهذا لا يجوز عليه لأنّه تشبيه وجلّ ربّنا عن ذلك وتعالى.

وأمّا الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل: هو واحد ليس له في الأشياء شبيه كذلك ربّنا، وقول القائل: إنّه ربّنا عز وجلّ أحديّ المعنى يعني به أنّه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم كذلك ربّنا عز وجل[3].

(١) بحار الأنوار: ج٣، ص٢٢٢، وكتاب تفسير الأمثل: ج٢٠، ص٤٩٨، تفسير الصافي: ج٥، ص٣٩١.
(٢) سورة المائدة: آية ٧٣.
(٣) تفسير نور الثقلين: ج٨، ص٣٦٨، بحار الأنوار: ج٣، ص٢٠٦.

باختصار: الله أحد وواحد لا بمعنى الواحد العددي أو النوعي أو الجنسي، بل بمعنى الوحدة الذاتية، بعبارة أوضح: وحدانيته تعني عدم وجود المثل والشبيه والنظير. وإذا وصف تعالى بأنه أحد، فمعناه أنه المختص بصفات لا يشاركه فيها غيره، من كونه قديماً وقادراً لنفسه وعالماً وحيّاً وموجوداً كذلك وأنه تحق له العبادة ولا تجوز لأحد سواه.

تكلم الفلاسفة قديماً وما زالوا: هل لهذا الكون من خالق ومبدأ أول؟ وعلى فرض وجوده: هل هو واحد أو أكثر؟ هناك أدلة وأساليب كثيرة تدل على وجود الخالق الواحد، مثل دليل التفكر في مخلوقات الله عز وجل، ودليل المرأة العجوز والدولاب الذي تغزل به، ودليل الأعرابي عندما سُئل كيف عرفت الله عز وجل؟

وفي هذه الآية المباركة سوف نشير إلى أن الله واحد في ذاته لا شريك له مثل وحدة النظام والتدبير تدل على وحدة المنظم والمدبر، ذلك عند النظر إلى الكون الذي يحيط بنا، نلاحظ في البداية موجودات متفرقة من الأرض والسماء والشمس والقمر والنجوم وأنواع النباتات والحيوانات، وكلما ازددنا إمعاناً في النظر الفينا مزيداً من الترابط والإنسجام بين أجزاء هذا العالم وذراته، وظهر لنا أنه مجموعة واحدة تتحكم فيها جميعاً قوانين واحدة.

ومهما تقدم العلم البشري اكتشف مزيداً من ظواهر وحدة أجزاء هذا العالم وانسجامها، حتى أن ظاهرة بسيطة يؤدي إلى

اكتشاف قانون عام يحكم كل أجزاء الكون مثل قانون الجاذبية الذي اكتشفه نيوتن.

هذه الوحدة في نظام الوجود، والوانين الحاكمة عليه، والإنسجام التام بين أجزائه كلها ظواهر تشهد على وحدانية الخالق.

أيضاً يستحيل أن يكون للعالم إلهان، لأنه لا يخلو من أحد فرضين: إما أن يكون كل منهما قادر على خلق الكون مستقلاً ومن دون معين وشريك، وإما أن يكون عاجزاً عن ذلك إلاّ بمعين وشريك، وعلى الفرض الأول يكون وجود أحدهما كعدمه ولزوم ما لا يلزم، وعلى الثاني يكون فقيراً وضعيفاً، وتعالى رب العالمين عن هذا وذاك، فتعلين التوحيد ونفي الشريك والمثيل هو دليل آخر على إثبات وحدانية الله يسمى دليل التمانع مستلهم من قوله سبحانه ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[1].

في كتاب الاحتجاج: روى أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري قال: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام: ﴿قل هو الله أحد﴾، ما معنى الأحد؟ قال: «المجمع عليه بالوحدانية، أما سمعته يقول: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[2] ثم يقولون بعد ذلك: له شريك وصاحبة[3].

---

(١) سورة الأنبياء: آية ٢٢.

(٢) سورة العنكبوت: آية ٦١.

(٣) الاحتجاج: ص٤٤١.

(الله الصمد): الصمد لغة: بمعنى السيد المقصود الذي لا يقضي أمر إلاّ بإذنه، يعني أنه السيد المطلق الذي بيده كل شيء، فلا يقع أمر في الكون إلا بإذنه.

- ماذا قالوا عن لفظ الصمد؟

البعض الذي يتبعون النيونان يعتقدون أن المخلوقات كانت كامنة في الذات كنون الشجر في النوى وأن الأشياء كانت مندرجة في غيب ذات الله كإندراج اللوازم في الملزومات ثم خرجت من الذات إلى ساحة الإمكان كما يخرج الشجر من النوى ويخرج نور الشمس من ذات الشمس ودليلهم: «أن معطي الشيء يلزم أن لا يكون بالذات فاقداً للشيء».

طبعاً هذه العقيدة لا نعتقد بها لأنه يوجب الكفر والزندقة، ونرد عليهم بهذا القول: هذا القول ولو كان بالظاهر ينطبق على بعض العقول القاصرة الخالية من المعارف الحقة الحقيقية ولكن لا يطابق قواعد التوحيد ويلزم من الاعتقاد بها التكثر في ذات الله ومن هذا الاعتقاد يجب أن نعتقد إن ذات الله التكثر وهذا يخالف التوحيد.

أن تعالى صمد جل جلاله ومعنى الصمد كما فسره الله تبارك وتعالى في سورة التوحيد، أنه سبحانه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ومعنى لم يلد ولم يولد لا يختصر بالولادة المعروفة عند الناس بل معناه أوسع وأعم مما قلناه ويشتمل جميع أنواع المتولدات الكونية والإمكانية كما يستفاد من حديث الإمام الحسين

سيد الشهداء سلام الله عليه وآله المنقول في بحار الأنوار[1] حيث قال عليه السلام: «**لم يخرج منه شيء كثيف كالولد وسائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين ولا شيء لطيف كالنفس، ولا يتشعب البدوات كالسنة والنوم، والخطرة والهم والحزن والبهجة والضحك والبكاء والخوف والرجاء والرغبة والسامة والجوع والشبع، تعالى أن يخرج منه شيء وأن يتولد منه شيء كثيف أو لطيف**».

فينتج لنا من كلامه سلام الله عليه أن معنى (الصمد الذي لم يلد ولم يولد) أنه وجوده جل وعلا منزه عن أن تكون أفعال وصفات وحالات وحتى ذوات المخلوقات خارجة منه، فكلام الإمام الحسين عليه السلام دليل قاطع ومحكم في رد القائلين (بوحدة الوجود) أو (وحدة الموجود) أو (الاشتراك) فإن أغلبهم يعتقدون أن جميع الكائنات ذاتاً وفعلاً وصفة موجودة في ذات الحق سبحانه ثم خرجت من الذات إلى عالم الإمكان ثم الكون وبعد ستعود إلى ذات الله العلي (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فسبحانه عما يصفون) وهم يستدلون في إثبات توهماتهم التي أوهن من بيت العنكبوت بهذه الآية المباركة ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[2]، ويقولون أن الآية المباركة تعني أننا نخرج من الذات الإلهية وثم نعود إليها مرة ثانية، وهذا الرأي باطل بأسره، ذلك إنهم فسروا

(١) بحار الأنوار: ج١٤، ص٣٣٤، كتاب الأمثل: ج٢٠، ص٥٠٢.
(٢) سورة البقرة: آية ١٥٦.

الآية الكريمة طبق آرائهم والتفسير بالرأي حرام وأساس الضلال وطريق إلى النار وبئس المصير، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار**»، وما أكثر الأحاديث المروية عنه صلى الله عليه وآله وعن أئمتنا حول المنع من التفسير بالرأي وهم خالفوا الرسول الأعظم والراسخون في العلم عليهم السلام، بل التفسير الصحيح لهذه الآية المباركة كما ذكره الشريف الرضي رضوان الله عليه في كتابه (الخصائص: ص٧٨) عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: وقد سمع رجل يقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ يا هذا! إن قولنا: (إنا لله) إقرار بالهلاك (يعني كل شيء هالك إلاّ وجهه).

فلننقل حديثاً دقيقاً حول التوحيد والصمدية عن باقر العلوم محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام المنقول في كتاب التوحيد[1]، ومعاني الأخبار[2]، عن وهب بن وهب القرشي، قال: سمعت إمامنا الصادق عليه السلام يقول: قدم وفد من أهل فلسطين على الباقر عليه السلام فسألوه عن مسائل، فأجابهم، ثم سألوه عن الصمد، فقال عليه السلام في تفسيره:

(الصمد) خمسة أحرف: فالألف دليل على أنيته (وجوده) وهو قوله تعالى ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[3]، «**يا من دل على ذاته بذاته**»، وذلك تنبيه وإشارة إلى الغائب عن درك الحواس.

---

(١) التوحيد: ح٦، ص٩٢.

(٢) معاني الأخبار: ح٣، ص٧، في كتاب تفسير نور الثقلين: ج٨، ص٣٧١.

(٣) سورة آل عمران: آية ١٨.

واللام: إشارة على (إلهيته) بأنه هو الله، (حير العقول والأوهام) والألف واللام المدغمان لا يظهران على اللسان ولا يقعان في السمع ويظهران في الكتابة دليلان على أن إلهيته بلطفه خافية لا تدرك بالحواس ولا تقع في لسان واصف ولا إذن سامع، لأن تفسير الإله هو الذي أله الخلق عن درك ماهيته وكيفيته بحس أو بوهم، لا بل هو مبدع الأوهام وخالق الحواس، وإنما يظهر ذلك عند الكتابة، فهو دليل على أن الله سبحانه أظهر ربوبيته في إبداع الخلق وتركيب أرواحهم اللطيفة في أجسادهم الكثيفة، فإذا نظر عبد إلى نفسه لم يرى روحه. كما أن لام الصمد لا تتبين ولا تدخل في حاسة من الحواس الخمس فإذا نظر إلى الكتابة ظهر له ما خفي ولطف، فمتى تفكر العبد في ماهية الباري وكيفيته أله فيه وتحير ولم تحط فكرته بشيء يتصور له، لأنّه عز وجل خالق الصور، فإذا نظر إلى خلقه ثبت له أنّه عز وجل خالقهم ومركّب أرواحهم في أجسادهم.

أما الضاد: فدليل على أنه عز وجل صادق قوله صدق وكلامه صدق ودعا عباده إلى اتباع الصدق بالصدق ووعد بالصد دار الصدق (الجنة).

وأما الميم: فدليل على دوام ملكه، وأنه عز وجل دائم تعالى عن الكون والزوال، أي الملك الحق لم يزل ولا يزال ولا يزول ملكه، وأمّا الدال فدليل على دوام ملكه وأنه عز وجل دائم (لا يفنى ولا ينتهي) تعالى عن الكون (أي ارتفع عن أن يكون حادثاً ومخلوقاً)

والزوال بل هـو الله عز وجل مكون الكائنات الذي كان بتكوينه كل كائن، فثبت أن الله تبارك صمد لا يدخل في شيء ولا يدخله شيء ولا يخرج منه شيء ولا يخرج من شيء.

عـن داود بـن القاسم الجعفـر، قال: قلـت لأبي جعفـر الثاني عليه السلام: جُعلـت فداك، ما الصمد؟ قال: (السيد المصمود إليه في القليل والكثير)[1].

عن جابر بن يزيد الجعفي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء من التوحيد؟ فقـال: إن الله تبارك وتعالى أسماؤه التي يدعى بها، وتعـالى في علو كنهـه، واحد توحد بالتوحيد فـي توحده ثم أجراه علـى خلقه فهـو واحد صمد قدّوس، يعبده كل شـيء ويصمد إليه كل شـيء، ووسع كل شيء علمـاً فهذا هو المعنى الصحيح في تأويل (الصمـد) لا ما ذهـب إليه المشبهة ولو كان تأويـل (الصمد) في صفـة الله عز وجل المصمت لكان مخالفـاً لقوله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[2]، لأن ذلك من صفة الأجسام المصمتة التي لا أجواف فيها مثل الحجر والحديد وسائر الأشياء، المصمتة التي لا أجواف لها، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(الله الصمـد) الذي قد انتهى إليه السؤدد، والذي يصمد أهل السمـوات والأرضـ بحوائجهم إليـه، لم يلد منه عُزيـر كما قالت اليهود لعنهم الله، ولا المسيح كماق الت النصار عليهم سخط الله،

(١) البرهان: ج٨، ص٤٢٨، تفسير نور الثقلين: ج٨، ص٣٦٩.
(٢) سورة الشورى: آية ١١.

ولا الشمس ولا القمر ولا النجوم، كما قالت المجوس لعنهم الله، ولا الملائكة كما قالت مشركو العرب، (ولم يولد) لم يسكن الأصلاب، ولم تضُمّه الأرحام، ولا من شيء كان، ولا من شيء خلق ما ان (ولم يكن له كفواً أحد): أي ليس له شبيهٌ ولا مثيل ولا عِدْلٌ، ولا يُكافيه أحد من خلقه بما أنعم عليه من فضله[1].

(ولم يكن له كفواً أحد): الكفو: هو الكف في المقام والمنزلة والقدر، ثم أطلقت الكلمة على كل شبيه ومثيل.

استناداً إلى هذه الآية، الله سبحانه منزّه عن عوارض المخلوقين وصفات الموجودات وكل نقص ومحدودية، فهو تبارك وتعالى لا شبيه له في ذاته، ولا نظير له في صفاته، ولا مثيل له في أفعاله، وهو متفرد لا نظير له من كل الجهات.

وأمير المؤمنين عليه السلام يقول في إحدى خطب نهج البلاغة: «**لم يلد فيكون مولوداً، ولم يولد فيصير محدوداً.. ولا كفء له فيكافئه، ولا نظير له فيساويه**»[2].

(١) تفسير القمي: ج٢، ص٤٥١.
(٢) نهج البلاغة: خطبة ١٨٦.

نختم تفسير هذه السورة المباركة وهي سورة التوحيد أو الإخلاص برواية عن عمران بن الحصين أن النبي صلى الله عليه وآله بعث سرية واستعمل عليها علياً عليه السلام، فلما رجعوا سألهم عن علي عليه السلام، فقالوا: كل خير، غير أنه كان يقرأ في أثناء كل صلاة بقل هو الله أحد.

فقال: لحبيّ قل هو الله أحد.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: ما أحببتها حتى أحبّك الله عز وجل.

وروى الفضيل بن يسار قال: أمرني أبو جعفر أن أقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ وأقول إذا فرغت منها: «كذلك الله ربي» ثلاثاً.

يا الله! اجعل حياتنا مع التوحيد،
ومماتنا مع التوحيد،
واحشرنا مع حقيقة التوحيد
والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على محمد وآله

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام - جمع الشريف الرضي.

٣- الاحتجاج - الشيخ الطبرسي.

٤- بحار الأنوار -الشيخ محمد باقر المجلسي.

٥- التوحيد - الشيخ الصدوق.

٦- معاني الأخبار - الشيخ الصدوق.

٧- أصول الكافي - للكليني.

٨- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال - للشيخ محمد بن علي بن حسين القمي.

٩- التفسير الكبير - للفخر الرازي.

٧- تفسير الثقلين - الميرزا عبدالرسول الحائري الأحقاقي.

٨- تفسير نور الثقلين - الشيخ عبد علي جمعة الحويزي.

٩- تفسير البرهان - السيد هاشم البحراني.

١٠- تفسير القمي - لأبي الحسن القمي.

١١- تفسير روح البيان - الشيخ إسماعيل حقي البروسوي.

١٢- تفسير الصافي - الفيض الكاشاني.

١٣- تفسير الأمثل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

١٤- تفسير تقريب القرآن إلى الأذهان - السيد محمد الشيرازي.

١٥- التفسير المبين - محمد جواد مغنية.

١٦- تفسير الميزان - السيد محمد حسين الطباطبائي.

١٧- البيان في تفسير القرآن - الشيخ آغا بزرك الطهراني.

١٨- مجمع البيان في تفسير القرآن - الشيخ الطبرسي.

١٩- كتاب مدينة المعاجز - للسيد هاشم البحراني.

٢٠- حق اليقين في معرفة أصول الدين - السيد عبدالله شبر.

٢١- ينابيع المودة - سليمان القندوزي الحنفي.

الفهرست

الموضوع	رقم الصفحة
- سورة الإخلاص	٧
- سبب التسمية	٨
- هل هناك أسماء أخرى لهذه السورة؟	٨
- ما هو سبب نزول هذه الآية المباركة؟	١٠
- فضيلة سورة الإخلاص	١١
- البسملة	١٩
- أهميّة البسملة	١٩
- من موارد استحباب البسملة	٢٠
- معنى البسملة	٢٢
- ارتباط البسملة بالسورة	٢٨
- عظمة بسم الله الرحمن الرحيم	٢٩
- فضيلة البسملة	٢٩
- الجهر بالبسملة	٣١
- تفسير الآيات المباركة	٣٥
- نكات لطيفة	٣٧
- تفسير لفظ الجلالة	٤١
- تفسير كلمة أحد	٤٣
- ماذا قالوا عن لفظ الصمد؟	٤٧

تفسير سورة
التوحيد
زمزم منصور القطان